فى حضرة الأمير فؤاد

جهرة الملك الراحل

للأستاذ عبد القادر المغربى

عضو مجمع اللغة العربية الملكى

لم يتح لى شرف المثول بين يدى جلالة الملك فؤاد الأول وأنا عضو فى مجمع اللغة العربية الملكى ، وإنما أتيح لى ذلك وهو أمير وأنا محرر فى جريدة (المؤيد) سنة ١٩٠٧ م

كتبتُ فى هذه السنة عدّة مقالاتٍ فى الدين والأدب والأخلاق والاجتماع الاسلامى ؛ وكان مما كتبته سلسلة مقالات بعنوان (حمامة الأزهر) ، فكنتُ أروى عن تلك الحمامة — مستمداً من وداعتها ونزاهتها — وصفاً دقيقاً لأحوال الأزهر وأخلاق علمائه ومشارب طلابه وما يقع فيه يوماً فيوماً من خير يمتدح أو شر يجتنب

واتفق يومئذ حدوث ما حدث بين السّيد على المرصفى ومشيخة الأزهر . وكان السيد يقرأ من كتب الأدب (كاملَ المبرد) . وللحجاج فيه كلمة نابية لا تكاد تذكر حتى يتبرأ منها المسلم . فَنَقَلَ بعض الوُشاة إلى المشيخة خَبَرَ ورود هذه الكلمة فى درس الأستاذ (المرصفى) . فأكبرتْ أمرها . ودعت الأستاذ إليها وناقشته فى اختياره لهذا الكتاب من بين كُتُب الأدب الكثيرة ، وفيه تلك الكلمة . ثم أبَتْ المشيخة عليه إلا أن يقرأ مقامات الحريرى ، وأبى هو إلا أن يهجر الأزهر ويكف على القراءة فى داره فى باب الشعرية ، وهكذا وقع

على أثر ذلك زارنى فى إدارة تحرير (المؤيد) ثلاثة من مجاورى الأزهر الذين لم ينفضوا من حول شيخهم المرصفى . وقد ألفت بينهم حرّية فى الفكر ، وصراحة فى الرأى ، ونفوس وثابة إلى التجديد : فكانوا فى تاريخنا الحديث أشبه بجمعية إخوان الصفا فى تاريخنا القديم

وهم الأساتذة : طه حسين ، والزيات (صاحب هذه الرسالة) ، والزناتى

فأنستُ بهم وسررت بزيارتهم

وقد وصف لى الأستاذ طه حادثة أستاذهم المرصفى مع مشيخة الأزهر وعجّبنى أشدّ العجب من موقف المشيخة إزاء هذا الحادث . ثم رغب إلىّ أن أستنطق (حمامة الأزهر) فهى تملى علىّ الخبر بأتمّ مما أملاه هو وأن أنشر ما تقوله فى (المؤيد)

فقلت له — وأنا آسف واجم : إن الشيخ على يوسف دعانى اليه بالأمس وقال لى : إن سمو الخديو (عباساً) قال له : قل للشيخ المغربى ليدع (حمامة الأزهر) وشأنها ، ولا يرو منْ بعد الآن فى (المؤيد) خبراً عنها

ولما أردت أن أناقش صاحب المؤيد فى ذلك قطع على حبل المناقشة بلهجة البات الجازم . وقد بين السبب فى هذا البت بأن الخديو قال له : إن شيوخ الأزهر أنفسهم كلموه فى هذه القضية فوعدهم خيراً ، فلم يبق مناص من امتثال أمره

ثم قلت للاخوان الثلاثة : هذا ما جرى ، وكنت أحب أن يصلنى خبر حادثتكم هذه قبل ما بلغت من أمر الخديو فيكون للحمامة إذ ذاك شأن فى وصف الحادثة والتعليق عليها . وما يدرينا أن يكون الشيوخ الذين كلموا الخديو فى الأمر إنما حسبوا حساب (الحمامة) التى اشتهرت بصدق رواياتها ، وإخلاصها فى نصيحتها ، فلجأوا إلى الخديو . وبهذه الصورة قطعوا عليها طريق الكلام فى الحادثة

ثم أفضتُ مع (إخوان الصفا) فى أحاديث أخر . حتى وصلنا إلى ذكر ما أنشره فى (المؤيد) من مقالات (أمالى أدب) فأنشدنى الأستاذ طه القصيدة التى اشتهرت باسم (اليتيمة) ومطلعها :

(هل بالطلول لسائلٍ ردُّ أم هل لها بتكلمٍ عهدُ)

وكنت نشرت فى (أمالىّ) أبياتاً من تلك القصيدة . فقال الأستاذ (طه) إن معظم القصيدة موجود فى مجموعة رسائل مخطوطة فى دار الكتب المصرية.. وفى ثانى يوم أرسلها إلى بخط

بعض إخوانه ، وبقيت عندى حتى غلبنى عليها أحد الأصدقاء قبل بضع سنين

وفى تلك الأثناء زارنى صديق الأستاذ (محمد الهراوى) وقال لى : يحسن أن نزور معالى (حسين رشدى باشا) . وكان مديراً للأوقاف العمومية فى ذلك العهد . ولم أكن اجتمعت به من قبل ، أما الهراوى فقد كان على اتصال به

فزرناه فى دار سكنه فى (المنيرة) وهى الدار التى آلت ملكيتها بعد ذلك إلى الشيخ على يوسف

ولما دنونا من بابها رأينا عربة فخمة يقودها فرسان مطهمان . فقال لى رفيق : يظهر أن أحد أمراء العائلة الخديوية فى زيارة الباشا

وهكذا كان : فاننا لم نكد نطأ البساط حتى خاطبنا الباشا مشيراً إلى صدر المجلس حيث زائره الكريم — قائلاً :

سمو البرنس فؤاد

فدنونا وسلمنا . ولم نكد نأخذ مجالسنا حتى التفت الباشا إلى الأمير وجعل يكلمه بالفرنسية . وكان فى خلال الحديث يلتفت إلى ، فعلمت أنه إنما يقدمنى إلى سموه ، وبالطبع يكون قد قال له : إننى عالم سورى وأننى أحرر فى (المؤيد) رسائل جامة الأزهر ، وأننى أسلك فى نقد العادات والأخلاق وطرائق التعليم الدينية الأزهرية مسلك المرحوم الشيخ محمد عبده . عرفت هذا من قول صاحب السمو للباشا بالفرنسية :

سل الشيخ ما هو رأيه فى الكرة الأرضية ؟ هل هى حقيقة محمولة على قرن ثور كما يقولون ؟

فكان لهذا السؤال وميض من الابتسام على شفاهنا جميعاً وشعرنا بشىء من الأنس والانبساط أفاضته علينا كلمة صاحب السمو بعد انقباض الاحتشام الذى غشينا من مهابته

فقلت للباشا قل لأميرنا المحبوب : إنه لولا الثور (أبيس) وبقية ثيران الدنيا التى كان يمثلها ذلك الثور فى هيا كل مصر — لما وجد فى الدنيا إنتاج زراعى ، ولما قام عمران فى العالم . فلا جرم أن كانت الدنيا القديمة محمولة على قرن الثور وحده وأن يكون أهلها عيالاً عليه : فهو الذى (يحمل) عبء الاهتمام بأمرهم ، والسعى فى تموينهم ، وتدبير الأقوات لهم

ففكرة حمل الدنيا على قرن الثور إذن فكرة شعرية خيالية سرت إلينا من المصريين القدماء بشكل جدىّ واقعى

فبرقت أسارير صاحب السمو من هذا الجواب . ثم أبدى أسفه الشديد لكثرة ما تسرب إلى الدين الاسلامى من تقاليد الأمم القديمة ومزاعمها ، حتى أصبحت تلك المزاعم كأنها جزء من تعاليم الاسلام . ثم ذكر لنا سموه أمراً استغربه جداً : وهو أن بعض علماء مراكش وفد على القاهرة فسأله بعض من سلم عليه من زملائه عما إذا كان سفره من المغرب الأقصى إلى القطر المصرى كان بطريق البر أو البحر . وقال سموه : إن العزلة التى تجعل صاحبها يجهل أبسط شأن من شؤون عصره لهى عزلة صارة تجب مقاومتها والخروج من ظلمتها

وقد كان كلام سموه يشفّ عن مبلغ غيرته على الاسلام ، وحرصه على تصفية علومه ، وعلى الأزهر وحرصه على ترقية شؤونه

رحم الله فقيدنا العظيم رحمة واسعة ، وجعل لنا من ابنه جلالة (فاروق الأول) خليفةً صالحا يكشف الغمّة ويجمع كلمة الأمّة

(دمشق) المغربى

أصدرت مكتبة الجيب

رجل

مؤذن فى القرية كان يرسل الصوت الشجى فى السحر ... فيشدو الطير ويترنم الغصن ويتحرك الجماد ويسبح الوجود كله لله واعترضت طريقه امرأة . . . فانقطع الصوت فجأة ... بعد ساعة أزلية مرت كالعاصفة . . . . . .

لمحمود البدوى

فى مكاتب القاهرة وثمنها قرشان